" كلمةٌ حول السر المستودع "

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ، أبد الآبدين .

من جملة الأدعية والأذكار المباركة التي يكثر تداولها ودورانها على الألسنة ووصايا علماء الطائفة : الدعاء الشريف (اللهمَّ صلِّ على فاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسرِّ المستودع فيها) وسوف يكون هذا الدعاء الشريف محور هذه المقالة من خلال جهات ثلاث :

١ / الجهة الأولى : *سندُ الدعاء* .

لهذا الدعاء – بمقدار اطلاعي – صيغ أربع :

أ – الصيغة الأولى : (**اللهم صلِّ على فاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، بعدد ما أحاط به علمك**) .

ب – الصيغة الثانية : (**إلهي بحق فاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسرِّ المستودع فيها**) .

وهاتان الصيغتان منقولتان عن آية الله المقدس الملا علي المعصومي الهمداني (طاب ثراه) ، نقلهما عنه تلميذه الحجة الشيخ أحمد الصابري الهمداني (قده) – مقرر أبحاث السيد الگلبيگاني (قده) في فقه الحج وولاية الفقيه – كما نقل عنه أيضاً : أنَّ تكرار الصيغة الأولى (٥٣٠) مرة ، له أثر قوي وفاعل في قضاء الحاجات وتفريج الملمات [١].

---

[١] فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى : ١ / ٢٥٢ .

ج – الصيغة الثالثة : (**اللهمَّ إني أسألك بحق فاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسر المستودع فيها ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تفعل بي ما أنت أهله ، ولا تفعل بي ما أنا أهله**) .

وهذه الصيغة منقولة عن سماحة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي (قده) ، وقد قال عنها في وصيتهِ لأكبر أولاده : (وأوصيه بمداومة قراءة هذا الدعاء الشريف في قنوتات فرائضه ، فإنّي أرويه عن والدي العلامة ، وأستاذي جمال السالكين الشيخ محمد الحسين الشيرازي ، وهما يرويان عن شيخهما مصباح السالكين السيد مرتضى الرضوي الكشميري بطرقه إلى نجم الزاهدين السيد رضي الدين علي بن طاووس الحسني ، صاحب الإقبال ، بطرقه الموثوقة المتصلة إلى أصحاب موالينا الأئمة البررة) [1].

د – الصيغة الرابعة : (**اللهمَّ بفاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسرّ المستودع فيها ، بعدد ما أحاط به علمك ، أن تقضي حوائج حامل هذا الكتاب ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، ويا رب العالمين**) .

وهذه الصيغة منقولة عن سماحة آية الله المقدّس ، الشيخ محيي الدين المامقاني ، عن والده سماحة آية الله العظمى ، الشيخ عبد الله المامقاني ، عن مجموعة الشهيد الأول (قُدّست أسرارهم) ، وهو يرويها بأسانيده عن زياد القندي ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) [2].

وهي مقتطعة من دعاء معروف بـ (دعاء الكنز) ، وقد وصفه الشهيد بقوله : (عظيم الشأن ، جليل القدر ، رفيع المنزلة ... ذكره جُلّ أصحابنا من أعاظم علماء الإمامية ممن يؤخذ بأقوالهم ، وذكروا له فوائد عظيمة ، منها : أنه نافع عند الشدائد والبليّات ، وتسهيل المشاكل والصعوبات) .

---

[1] قبسات من حياة السيد المرعشي (قده) : ١٢٤ ، وقد جاء نص الوصية المذكورة في آخر الكتاب المذكور بخط السيد المرعشي (قده) نفسه .

[2] نقلَ لي ذلك أحد الفضلاء القطيفيين (دام توفيقه) ، وأفاد أنَّ المجموعة التي نُقلت عنها الصياغة المذكورة كانت موجودة في مكتبة الشيخ المامقاني (قده) التي كانت في النجف الأشرف .

وقال عنه أيضاً : (ما قرأ هذا الدعاء العظيم صاحب حاجة إلا قضى الله حاجته ، وذو مهمة إلا قضى الله مهمته) ثمَّ ذكر له سبعين فائدة ، وقال (قده) : (تنبغي قرائته وحمله) .

ونقلَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : " علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما استعسر على أحدٍ أمرٌ إلا استيسر به ، وما قرأه صاحب حاجة إلا قضى الله تعالى حاجته " .

ونصّ الدعاء المذكور هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهمّ إني أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك ، وسكان سماواتك وأرضك ، وأنبيائك ورسلك ، أن تحفظ حامل هذا الكتاب ، بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن و م ح م د صلواتك عليهم أجمعين ، اللهمّ بفاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسر المستودع فيها ، بعدد ما أحاط به علمك ، أن تقضي حوائج حامل هذا الكتاب ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، ويا رب العالمين) .

إذا عرفتَ ذلك ، فإنَّ جميع الصيغ الثلاث الأولى – كما لا يخفى على المتتبع – لم ترد بسند معتبر ، بل لم تُنسب إلى المعصوم (عليه السلام) في شيء من الكلمات[1] ، إلا أنَّ ذلك لا يضر باعتبارها ؛ وذلك لأنَّ الأدعية وكذا الزيارات لها حيثيتان :

أ – الحيثية الأولى : حيثية قرائتها .

ب – الحيثية الثانية : حيثية إسناد مضامينها إلى المعصوم (عليه السلام) .

---

[1] وقد توهم بعضهم أنَّ الصيغة الثالثة تنتهي إلى المعصومين (عليهم السلام) ، ولكن لم يظهر من كلام السيد المرعشي (قده) المتقدم أكثر من انتهائها إلى أصحابهم (رضوان الله عليهم) ، ولعلَّ هذا يقرّب تلقيهم لها عنهم (عليهم السلام) ، إلا أنه مما لا يمكن القطع به .

ومما يجدر ذكره : أنني في إحدى زياراتي لسماحة العلامة السيد عباس الكاشاني (قده) سألته – وهو خرّيت الفن – عمّا لو كان قد اطلعَ على نسبة الدعاء لأحد المعصومين (عليهم السلام) ، فأجاب بالإيجاب ، بل أفادَ أنَّ له سنداً أيضاً ، وأحالني على كتابهِ الشهير : (مصابيح الجنان) ، ولكنني رغم مزيد الفحص فيه لم أجد أثراً للدعاء المذكور ، فضلاً عن سنده ، ولعلّه (قده) أراد كتاباً آخر ، ولكن سبقَ لسانه إلى أشهر كتبه .

ومن الواضحات عند فقهاء الطائفة " أعلى الله كلمتهم " أنَّ الحيثية الأولى – حيثية القراءة – مشروعة ، وإنْ لم يُعلم صدور النص عن المعصوم (عليه السلام) ، ما لم يُقصد بذلك الورود ، ومقتضى الأدلة هو جواز ذلك حتى في قنوت الصلاة ؛ لدلالة غير واحدٍ من النصوص المعتبرة على نفي التوقيف في أدعية القنوت .

ومنها : صحيحة إسماعيل بن الفضل ، قال : سألتُ أبا عبد الله (عليه السلام) : عن القنوت وما يُقال فيه ؟ فقال (عليه السلام) : " **ما قضى اللهُ على لسانك ، ولا أعلم فيه شيئاً مؤقتاً** " [1] ، وهذه الصحيحة صريحة الدلالة على المطلوب ، ولا معارضَ لها .

وأما الحيثيةُ الثانية : فالوثوقُ الخبري – على أقلِّ تقدير – وإن كان معتبراً فيها ، إلا أنه في مثل المقام فيما لو لم يكن النص منسوباً إلى المعصوم (عليه السلام) يكفينا ورود مضامين الدعاء أو الزيارة في أدعيةٍ أو زياراتٍ أخرى قد قام الدليل على اعتبارها ، والمقام من هذا القبيل ؛ نظراً لورود التعبير نفسه أو ما يقاربه في حديث الكساء المشهور : " **هم فاطمة وأبوها ، وبعلها وبنوها** " ، وهو ذو سند معتبر على الأصح[2] ، كما أنَّ مضمون هذا الدعاء – وهو التوسل بالصديقة الطاهرة (عليها السلام) – مما لا يرتاب في مشروعيته بل رجحانه مؤمن .

وأما الصيغة الرابعة : فالقول باعتبارها سنداً يتوقف على افتراض تمامية ثلاث مقدمات :

المقدمة الأولى : التسليم بوجودها في مجموعة الشهيد (قده) .

ولا يخفى أنَّ أصل وجود مجموعة – بل مجاميع – للشهيد الأول (قده) مما لا كلام فيه ، كما صرّح به أصحاب الفن ، كصاحب المعالم ، والمحدّث النوري ، والسيد حسن الصدر ،

---

[1] وسائل الشيعة : ٦ / ٢٧٧ ، الباب : ٧ من أبواب القنوت ، الحديث : ١ .

[2] إذ ليس يوجد في سند الحديث المبارك – الذي ذكره صاحب العوالم (قدس سره) – مَن يُغمز فيه إلا (القاسم بن يحيى) ، إلا أنَّ توثيقه ببعض الوجوه العامة ليس بمتعذر .

والشيخ آغا بزرك الطهراني (قدهم) [1]، ولكنَّ شيئاً منها لم يُطبع لحدّ الآن ، إلا أنَّ نقل الثقة الثبت لشيء عنها يكفي للتعويل عليه [2].

المقدمة الثانية : صحة أسانيد الشهيد (قده) لزياد القندي .

وإثبات هذه المقدمة يتوقف على تمامية أمور ثلاثة :

الأمر الأول : أنَّ للشهيد (قده) أسانيد متصلة ومعتبرة لمرويات الشيخين الجليلين الطوسي والصدوق (طاب ثراهما) ، وقد صرّح بذلك في إجازاته الشريفة [3].

الأمر الثاني : أنَّ للشيخين الجليلين أسانيد متصلة ومعتبرة لكتاب زياد بن مروان القندي ، وقد تحدث الشيخ الطوسي (قده) عن سنده إليه ، فقال : (زياد بن مروان القندي . له كتاب ، أخبرنا به الحسين بن عبيد الله ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن يعقوب بن يزيد ، عنه) [4].

وذكر الشيخ الصدوق (قده) أيضاً سنده إليه ، فقال : (وما كان فيه عن زياد بن مروان القندي : فقد رويته عن أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، ويعقوب بن يزيد ، عن زياد بن مروان القندي) [5].

الأمر الثالث : أنَّ دعاء الكنز موجود في كتاب (زياد بن مروان القندي) .

ولا يخفى أنَّ الأمر الأول وإن كان تاماً ، غير أنَّ الأمرين الأخيرين لا يخلوان عن تأمل ، فإنَّ سند الشيخ الطوسي (قده) مبتلى بوقوع (الحسين بن عبيد الله) في سلسلته ، وفيه كلام يبتني على القول بوثاقة جميع مشائخ النجاشي وعدمه ، وأما سند الشيخ الصدوق (قده) فإنه

---

[1] لاحظ مقدمة (غاية المراد في شرح نكت الإرشاد) : ١ / ١٦٨ .

[2] مما يجدر التنويه عليه : أنني طلبت من أحد أصدقائي من خبراء المخطوطات – وهو فضيلة الشيخ إسماعيل الگليداري البحراني (دامت توفيقاته) – أن يبحث لي ضمن مجموعات الشهيد (قده) التي بحوزته عن دعاء الكنز ، فلم يجد له أثراً ، ولعلّ هنالك ثمة اختلاف وتفاوت بين نسخ المجموعات بالزيادة والنقيصة ، فينبغي المزيد من التتبع حول هذه الجهة .

[3] بحار الأنوار : ١٠٤ / ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٧ و ١٩٨ .

[4] الفهرست : ١٣١ .

[5] من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٤٦٦ .

– كما هو صريح كلامه – مقصور على مرويات القندي التي أوردها في الفقيه ، وليس دعاء الكنز منها ، كما لا يخفى .

وأما الأمر الثالث : فدون إثباته خرط القتاد .

المقدمة الثالثة : ثبوت وثاقة زياد القندي ، والصحيح تمامية هذه المقدمة ، فإنه وإن كان خبيثاً ومن أركان الواقفية ، إلا أنَّ الشيخ المفيد (قده) قد وثقه صريحاً في الإرشاد [1]، وهذا يكفي لتوثيقه ، وإن كان منحرفاً في اعتقاده .

ومما عرضناه ظهرَ أنَّ الحكم باعتبار سند الصيغة الرابعة مما لا سبيل إليه ، نظراً لعدم تمامية المقدمة الثانية .

٢ / الجهة الثانية : *مفرداتُ الدعاء* .

يشتمل الدعاء بمختلف صيغه المذكورة على عدةٍ من المفردات ، ولسنا بصدد بيانها جميعاً ، إذ الذي يعنينا منه مفردتان :

أ – المفردة الأولى : مفردة " السِّر " .

ب – المفردة الثانية : مفردة " المستودع " .

أما المفردة الأولى : فالمعنى المتبادر منها إلى الذهن هو : الأمر المكتوم أو الخفي ، ولكن الذي ينبغي الالتفات إليه هو وجود معانٍ أخرى أيضاً لمفردة السر غير هذا المعنى المتبادر ، فإنَّ اللغويين – كما يظهر من مراجعة مادة " سرر " من لسان العرب – يذكرون لمفردة " السر " إلى جانب المعنى المذكور ، أربعة معانٍ ، وهي :

- المعنى الأول : الأصل .
- المعنى الثاني : السرور .
- المعنى الثالث : الخالص .
- المعنى الرابع : الأفضل من كل شيء .

---

[1] الإرشاد : ٢ / ٢٤٨ .

ولتكن هذه المعاني لمفردة " السر " على ذكرٍ منك ؛ لأننا سنحتاج إليها في الجهة الثالثة من جهات البحث .

وأما المفردة الثانية : فتكاد أن تكون واضحة المعنى ، إلا أنَّ النقطة الجديرة بالالتفات فيها ، هي : أنَّ هذه المفردة مرتبطة بمفردة " الوديعة " ، ومن الواضح أنَّ هذه المفردة تعني الأشياء التي تجعل عند الغير لفترة معينة – تطول أو تقصر – لأجل حفظها ، ثم تُرد إلى صاحبها مرة أخرى ، أو إلى مَن يطلب إيصالها إليه [1].

وليكن هذا أيضاً على ذكرٍ منك أيضاً ؛ لأنه مما يعين على فهم المقصود من السر المستودع ، كما سيوافيك في الجهة اللاحقة .

٣ / الجهة الثالثة : المعاني المحتملة للسر المستودع .

قبل الشروع في بيان ما يرتبط بهذه الجهة ، لا بدَّ من الالتفات إلى أنَّ المعاني المحتملة لمفردة " السر " لا يمكن تطبيقها جميعاً على الصيغ الثلاث بنسق واحد ؛ وذلك لأنَّ إحداها

---

[1] ناقشَ فيما ذكرناه بعض الفضلاء : بلزوم التفريق بين الوديعة عند الشخص والوديعة في الشيء ، فالأولى ظاهرة في الوديعة المردودة دون الثانية ؛ ولذا يقال : أودعت في كتابي كذا ، أو أودعَ في كتابه كذا ، ولا يُوجد أيُّ استرداد في موردهما ، ووردَ في دعاء الندبة : " وأودعه الله علم ما كان وما يكون " مع وضوح أنَّ العلم الذي أفاضه الله تعالى على ذوات المعصومين (عليهم السلام) لم يوضع فيهم ليسترجع ، بل حتى الوديعة عند الشخص لا تعني الاسترجاع دائماً ، كما في قول القائل : (أستودعك الله) فإنه لا يريد استرجاعه بل حفظه عنده تعالى .

ويُلاحظ عليه : أننا ذكرنا أعلاه أنَّ مفردة الوديعة تعني الأشياء التي تجعل عند الغير لفترة معينة لأجل حفظها ، ثم تُرد إلى صاحبها مرة أخرى ، أو إلى مَن يأمر بإيصالها له .

وبهذا يتضح ما في كلامه (دامَ توفيقه) ، فإنَّ الوديعة في جميع الأمثلة المذكورة مستردة ، غاية الأمر أنها تُسترد لغير مودعها ، فإنَّ علمهم (عليهم السلام) المودع عندهم يسترد الله تعالى ما شاءَه منه لتعليم الآخرين ، كما أنَّ ما يتمُّ إيداعه في الكتب يتمّ استرداده لكلّ مستفيد منها .

وهكذا يُقال بالنسبة لعبارة (أستودعك الله) فإنَّ القائل يطلب من الله تعالى أن يحفظ الشخص الذي يفارقه حتى يتحقق استرداده له باللقاء به مجدداً ، أو باعتبارٍ آخر .

وبالجملة ، فإنَّ جميع موارد استعمال مفردة (ودع) وما لها من المشتقات مشربة بمعنى الحفظ والاسترداد ، ولا يحتاج التوصل إلى ذلك لمزيدٍ من التأمل .

مشتملة على لفظ " الصلاة " – وهي الصيغة الأولى – حيث جاء فيها : " **اللهمَّ صلِّ على فاطمة وأبيها** " ، ومن الواضح جداً أنَّ الصلاة لم يُعهد استعمالها بالنسبة لغير الإنسان ، وبما أن " السر المستودع " معطوف في الذكر على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها ، فيلزم أن يكون مشمولاً للصلاة أيضاً ، وهذا يعني لزوم كونه أحد أفراد الإنسان ، ولا سبيل لاحتمال غير ذلك من المعاني [1].

وهذا بخلاف الصيغة المجردة عن الصلاة ، فإنَّ دائرة معاني " السر " فيها ستكون أوسع وأشمل ، ولن ينحصر الأمر فيها بخصوص المعنى السابق .

وعلى ضوء هذه النكتة ، فإنه من اللازم منهجياً في هذه الجهة توزيع البحث إلى قسمين :

أ – القسم الأول : المعاني المحتملة لمفردة " السر " على ضوء صيغة الصلاة .

والمعاني المحتملة على ضوء هذه الصيغة معنيان :

١ – المعنى الأول : السِّر هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) . ووجهُ التعبير عنه بالسر – بمعنى الشيء الخفي – يكاد أن يكون واضحاً ، فإنَّ غيبته الشريفة وخفاءه عن الأنظار – شخصاً أو عنواناً – يجعله من أجلى مصاديق السر بحسب معناه المذكور .

---

[1] ناقشَ فيما ذكرناه بعض الفضلاء (دام توفيقه) بأمرين :

الأول : إنَّ مرجعية العرف إنما هي في تحديد المفاهيم ، لا في الاستعمال .

الثاني : إنَّ مفهوم (الصلاة) قد حدده المعصومون (عليهم السلام) بأنه الثناء ، والثناء كما يصح على الإنسان يصح على الصفات .

ويُلاحظ على الأول : أنَّ العرف كما أنه المرجع لتحديد المفاهيم ، كذلك يُرجع إليه في معرفة موارد الاستعمال ، إما لأجل التوصل إلى تحديد المفهوم ، وإما لأجل توسعة المفهوم أو تضييقه طبقاً لمناسبات الحكم والموضوع العرفية ، ومن هنا تجدهم يعبرون أحياناً عن بعض الاستعمالات بأنه (استعمال عرفي) أو (استعمال غير عرفي) ، فليس يتردد أحد مثلاً في انطباق عنوان (غير مأكول اللحم) – بما له من المفهوم – على الإنسان ، ولكن لأنَّ العرف لا يستأنس استعماله فيه ؛ لذلك قيل بانصرافه عن الإنسان ، وإن كان مفهوماً منطبقاً عليه .

ويُلاحظ على الثاني : أنَّ مفهوم الصلاة لم يحدده المعصومون (عليه السلام) بخصوص الثناء ، بل فسرته بعض النصوص الشريفة بالرحمة ، ولا يخفى ما في حمل لفظ الصلاة – بمعنى الرحمة – على مثل الصفات من الكلفة .

إلا أنَّ هذا الوجه لا يخلو عن بعد ، ضرورة أنه (عج) وإن كان سراً بحسب اللحاظ المذكور ، إلا أنه بلحاظ ما يرتبط به من الخصائص والشؤون التي أوضحها الكم الهائل من الروايات الشريفة لا يصدق عليه عنوان " السر " إلا بشيء من التكلف ، مع أن الظاهر من عنوان " السر "كونه ممحضاً في السرية ، وإلا فإنَّ مجرد كون المعصوم (عليه السلام) سراً باعتبار من الاعتبارات يصدق على جميع المعصومين (عليهم السلام) ، لا خصوص الإمام المهدي (عج) .

هذا مضافاً إلى أنَّ تطبيق عنوان " المستودع " على الإمام (عج) وإن كان يمكن تصويره بلحاظ بعض الاعتبارات ، إلا أنه لا يخضع لنكتة فنية تختص به (عج) ، بل تشمله وتشمل غيره من المعصومين (عليهم السلام) .

٢ – المعنى الثاني : السِّر هو المحسن الشهيد (عليه السلام) . والوجه في التعبير عنه بالسر أشد وضوحاً من الوجه في سابقه ، إذ أنه (ع) مجهول الخصائص والشؤون والكمالات ، بل لم يسمح الظالمون حتى بإطلالة نوره المبارك على أنحاء هذا الوجود ، فغيبوه شهيداً وهو في أطهر بطن على وجه العالم .

ويُقرّب هذا الاحتمال تعبير الدعاء عنه بـ " المستودع " بعد تعبيره عنه بـ" السر " ، إذ من المحتمل جداً كون هذا التعبير مقتنصاً من قوله تبارك وتعالى : (**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع**) [١] فإنَّ الظاهر من هذه الآية – كما أفاد سيد الميزان (قده) [٢] – بقرينة كونها في مقام بيان أساس السلالة البشرية : أنها بصدد تقسيم السلالة إلى قسمين ، فقسم منها قد تلبس بالولادة فاستقر في الأرض ، كما أشار إلى ذلك قوله تبارك وتعالى : (**ولكم في الأرض مستقر**)[٣] ، وقسم منها لم يستقر ، وهو " المستودع " في الأصلاب والأرحام .

---

[١] سورة الأنعام ، الآية : ٩٨ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٨٨ .

[٣] سورة البقرة ، الآية : ٣٦ .

فالمحسن الشهيد (عليه السلام) سر من أسرار الله التي لم تنكشف ، وقد استودعه خالقه تبارك وتعالى عند الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) ، ثم استرجعه منها شهيداً على أيدي قتلتها الظالمين ، وهو بعدُ لم يستقر في الأرض .

ب – القسم الثاني : المعاني المحتملة للسر على ضوء الصيغة المجردة .

والمعاني المحتملة – على ضوء هذه الصيغة ، إلى جانب الاحتمالين المتقدمين ، فإنهما واردان هنا أيضاً – معنيان :

١ – المعنى الأول : السر بمعنى الأفضل من كل شيء . بتقريب : أن الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) هي مستودع أفضل وأعظم وأشرف الكمالات الإلهية المفاضة على العباد ، بمقتضى كونها بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) ومظهر خصائصه ومجلى كمالاته ، فالعصمة وإن كانت عند غيرها من الأنبياء والرسل والأوصياء (عليهم السلام) إلا أنَّ عصمتها هي الأفضل ، والعلم الإلهي وإن كان عند غيرها أيضاً إلا أن علمها هو الأعظم ، والولاية التكوينية وإن كانت موجودة عند غيرها إلا أن ولايتها هي الأكمل ، وهكذا ، وليس يستثنى من هؤلاء (عليهم السلام) أحد إلا من اشتركوا معها في أشدية كمال الخصائص ، وهم أبوها وبعلها وبنوها (عليهم السلام) .

وعليه : فلا محيص للإنسان الداعي – سيما بعد كونه في مقام القسم والتوسل – من التضرع إلى الله تعالى بما هو الأقرب إليه ، وليس بعد المعصومين (عليهم السلام) إلا صفاته المقدسة المستودعة – بحسب أعلى درجاتها وأفضل مراتبها – عند فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (عليهم السلام) .

٢ – المعنى الثاني : السر بمعنى الأمر الخفي . فيكون معنى الدعاء : " اللهمَّ إني أسألك بحق ما خفيَ من الشؤون والخصائص المستودعة عند الزهراء " ويقرِّب هذا المعنى نفس التعبير بالسر ، فإنَّ المتبادر منه – كما أشرنا سابقاً – هو الأمر الخفي ، ولا ريب في حجية هذا النحو من التبادر ؛ لكونه ناشئاً عن كثرة الاستعمال ، كما هو مقتضى القاعدة المحررة في علم الأصول .

ونتيجة ذلك : فإنَّ " السر المستودع " يبقى سراً لا يمكن استكناه حقيقته ، والوصول إلى واقعه ، وجميع ما ذُكر أو سيذكر من المحاولات لبيان المعنى المقصود منه سيظل احتمالاً قابلاً للمطابقة مع الواقع وقابلاً للمخالفة .

والخلاصة : فإننا إذا بنينا على الصياغة الأولى للدعاء ، فإنَّ المعنى الأقرب للسر المستودع هو المحسن الشهيد (عليه السلام) ، وإن بنينا على الصياغة الثانية ، فإن المعنى الأقرب للسر المستودع هو الأمر المكتوم الذي لا سبيل إلى العلم به ، والله العالم بحقائق الأمور .

والحمد لله رب العالمين

ضياء السيد عدنان الخباز

صباح الثلاثاء ١١ / ٢ / ١٤٢٩ هـ

الكويت / المنصورية / حسينية آل ياسين[1]

[1] وتمت إضافة بعض الإضافات لهذه المقالة في يوم الأربعاء الموافق لتأريخ ٤ / ٦ / ١٤٣٦ هـ .